# صناعة الجلود في وادي الرافدين

بقلم : الدكتور وليد الجادر[1]

يتميز وادي الرافدين ، وخاصة اقسامه الشمالية ، بتوفر مراع خصبة صالحة لتربية الاغنام بشكل خاص وتستلزم هذه مناخا معتدلا نسبيا وتربة يابسة مسقية سقيا معتدلا وهذا يوفر نباتات جيدة كطعام لكل المواشي والاغنام أيضا ، وخطورة هذا النوع من الاراضي انها اذا سقيت بكثرة تصبح مرتعا لنمو انواع الطفيليات التي تكون خطرا على حياة هذه الحيوانات ، وبالعكس ، فان الاراضي الغنية بالمواد الكلسية والمروية بشكل معتدل توفر نباتات ضعيفة وغير غزيرة والحالة هذه تعتبر مثالية لتربية الاغنام .

عرف سكان وادي الرافدين القدماء انواعا عديدة من الخراف ، ونعرف ذلك من خلال كتاباتهم المسمارية على الواح الطين وخاصة تلك التي تتعلق بالرسائل الملكية والرسائل الخاصة بتنظيم اقتصاديات الدولة اضافة الى المنحوتات العديدة على انواعها[2] .

تتميز الكتابات المسمارية بتعابير مختلفة مشيرة بذلك الى اسماء الخراف ، حجومها ، واعمارها وانواعها : فـ ( يوخادو ) ويعني الحمل الصغير الحجم ، و ( لاخرو ) يعني النعجة ، و ( شؤو ) يعني الكبش وهناك أسماء أخرى عديدة لها أيضا .

ومن عصر سلالة اور الثالثة ( حوالي ٢٠٠٠ ق٠م ) ومن مدينة اور بالذات ، تتوفر لدينا نصوص تحدد لنا أهمية هذه الانواع من الحيوانات

---

(١) أصل هذا المقال منشور باللغة الفرنسية في مجلة سومر : المجلد ٢٣ ( ١٩٦٧ ) ص ١٩٣ـ٢٠١ .

(٢) يمكن الرجوع ، عند الحاجة ، الى مصادر البحث المذكورة في مجلة سومر : مجلد ٢٣ ، كذلك يمكن الرجوع الى الاصطلاحات والتعابير المسمارية التي لا ترد في النسخة العربية هذه .

وتوضح مدى رعايتها وتصنيفها بل حتى في احصائها كالنص الذي جاء فيه ذكر : ٢٣١٤ رأسا من الماشية ، ٢٢٥٩ رأسا من الغنم ، ٢٧٦٠٠ نعجة و ١٧٠٨٤ من الاغنام أيضا اضافة الى ٩٩٣٩ رأسا من الخراف الصغيرة (٣).

لم يقتصر اهتمام اقتصادي وادي الرافدين القدماء على تربية الاغنام والماشية فقط واتما نلمس اهتماما خاصة بتربية الماعز بأنواعه المختلفة، فقد كرس سكان واي الرافدين القدماء جهودهم وبشكل مستمر وعميق على الرعي وتربية الحيوانات ولا عجب في ذلك فالمنطقة كانت زراعية بالدرجة الاولى ، وقد عرف هؤلاء استغلال الماشية معرفة جيدة فاتخذوا من أصوافها مادة أولية في صناعة الملابس وغيرها ، كما وفرت جلودها مادة أولية هامة لعديد من الصناعات واستخدمت هذه المادة الجلدية في صناعة قطع من الملابس لاكمال المظهر الخارجي هذا اضافة الى لحوم هذه الحيوانات المعروفة الاستخدام ، اما ما عرفناه من استخدام جلود هذه الحيوانات من قبل سكان وادي الرافدين فهو واسع جدا : ابتداء من الملابس والاحذية الى العدد الحربية : من خوذ وحمالات اسلحة وجعاب سهام ، كذلك استخدمت هذه الجلود في صناعة وعمل أجزاء غير قليلة من عدة النوم وكغلاف وقائي وجمالي لبعض العربات سواء الحربية منها أو المعدة للتنقلات الملكية في حالات السلم ، كذلك استخدمت مادة الجلد كغلاف وزينة لبوابات الدور وكسجاجيد اضافة الى استخدامها كأوان لانواع عديدة من الاطعمة والمشروبات مثل القرب والاكياس وحتى العلب المستخدمة في حفظ المواد الثمينة أو غيرها ، كذلك كانت مادة الجلد تعتبر المادة الاولية الرئيسية في صناعة وعمل عدة الخيول (٤) والحمير والبغال من اعنة وسروج وسياط اضافة الى استخدام المادة هذه في صناعة أجزاء من القوارب والارماث وتدخل نفس المادة في صناعة الآلات الموسيقية : كأوتار القيثارات والاجزاء الرئيسة في صنع ( الدمامات ) والطبول والدفوف(٥) .. واستخدمت المادة من قبل الصاغة في عمل المنافخ الخاصة لرفع درجة وقوة النار المستخدمة في التصهير .

اما عن أقدم وثيقة مادية تثبت استخدام

---

(٣) انظر المصادر في مجلة سومر : مجلد ٢٣ ( ١٩٦٧ ) ص ١٩٣ ملاحظة ٢ .

(٤) من المنحوتات الآشورية البارزة نرى بوضوح العديد من الخيول الملكية وخيول القواد الآشوريين من الفرسان ونلمس بشكل جيد الاهتمام الكبير في اظهار هذه الخيول بشكل مترف ومميز ومن ذلك اعنة الخيول بتفاصيلها والقطع المعدنية والصدفية المزينة للاشرطة الجلدية المكونة لجزء كبير من زينة الخيول هذه .

ان ما يمكن رؤيته من هذه التفاصيل تشهد بان صناعة الجلود عند الآشوريين قد بلغت مرحلة ممتازة من التطور . فالعنان والنير ومقبضه كانت تقوى بشريط جلدي أيضا او بشريط معدني . ونعرف من بقايا الوان المنحوتات الآشورية البارزة ان الشرائط المصنوعة من الجلد لأعنة بعض الخيول الملكية كانت ملونة باللون الاحمر : انظر : Gosse. H. Assyria. p. 234.

كذلك كانت مادة الجلد المادة الرئيسة في صناعة سروج الخيول اضافة الى الاقمشة وكان السرج بدوره يزين بتخليات على أشكال زهرات وبأحجام وبفروع متعددة .

(5) Crawford: Sumerian economic Texts from the First Dynasty of Esin. 1954, text no. 206...

سكان وادي الرافدين القدماء لمادة الجلد في الصناعة فهي ما عثر عليه في المقبرة الملكية في مدينة اور وهي عبارة عن بقايا أغلفة اطارات خاصة بالعربة الملكية ويرجع تاريخها الى حدود الالف الثالث ق.م[٦] . ومن القوائم اللغوية المثبتة من قبل علماء اللغات المسمارية ذكر لانواع من الحيوانات الاخرى التي استخدمت جلودها في صناعات مختلفة ، ومن هذه : جلود الخنازير والجمال والاسود وحتى جلود القطط والكلاب والحمير والبغال[٧] . وتذكر الكتابات المسمارية لقب احد المختصين بصناعة الجلود ودبغها وهو : اور – با ، Ur-ba وتذكر انه اتخذ لاشغاله احد جلود الغزلان الجبلية ، وهناك نصوص أخرى تشير الى استخدام جلود وحيوانات أخرى كالبقر والثيران وتذكر هذه النصوص انواعها وتميز كل نوع على الآخر بعلامة كتابية خاصة . وتذكر هذه النصوص أيضا كميات من البقر والثيران المقدمة كقرابين للالهة من قبل الملوك بشكل خاص ، وتذكر احيانا اعمار هذه الحيوانات كذلك ، ففي نص آشوري يذكر جلود خمس بقرات صغيرة بينها جلد بقرة تبلغ من العمر سنتين[٨] . كذلك ذكرت بعض الابقار والثيران حسب نوعية طعامها ولونها[٩] .

ومن تأكيد وحرص ملوك وادي الرافدين القدماء وخاصة الملوك الآشوريين على جعل هذه الانواع من الحيوانات ضمن الاتاوات المتنوعة المفروضة على الامم المغلوبة الخاضعة .. نستطيع ان نستشف مدى الاهتمام بتربية الماشية واستغلالها ، ونخص الكتابات المسمارية بذكر هذه الاتاوات والتي منها نص فرض من قبل أحد الملوك الآشوريين يشير الى ١٢٠٠ حصانا و ٢٠٠٠ بقرة[١٠] .

ان الاهتمام بتربية هذه الحيوانات واضح أيضا فيما ذكر في النصوص المسمارية عن تخصيص بيوت خاصة أو حظائر ومنها الخاصة بالبقر والثيران فقط والتي تسمى في الاكدية bit alpi ، وتذكر النصوص أيضا الشخص المكلف برعاية وتربية هذه الحيوانات[١١] . ونعرف ان الحال كان بنفس المستوى من الاعتناء بالنسبة للحيوانات الاخرى .

ان معاملة واشتغال جلود الحيوانات المذكورة أنواعها في وادي الرافدين القديم وفي مرحلتها الاولى بالذات كانت تتم بنزع الجلد عن الحيوان، ويذكر التعبير الخاص بهذه العملية في نص مسماري بالصيغة التالية :

KUSH. BAR Pa-ar-ri [١٢]

---

(6) Bottéro, J. Dictionnaire archéologique des techniques. I. p. 342; Antiquaries Journal. VIII, 4, 1928, p. 436.

(٧) انظر المصادر التي تذكر عن استخدام جلود هذه الحيوانات من قبل حرفيي وادي الرافدين المختصين بصناعة الجلود وذلك في أسفل ص ١٩٤ من نفس العدد من مجلة سومر .

(٨) انظر النص الآشوري في سومر ، نفس المصدر . ملاحظة ١١ .

(٩) انظر ص ١٩٤ ملاحظة ١٢ .

(١٠) انظر ص ١٩٤ ملاحظة ١٣ .

(١١) أنظر : سومر . ص ١٩٤ ملاحظة ١٤ ، ١٥ .

(١٢) تمارس هذه العملية من قبل سكان وادي الرافدين منذ أقدم العصور واستنادا الى النصوص المسمارية عرفت هذه المرحلة قبل عصر

ويظهر ان عملية نزع جلد الحيوان كانت تتم بطريقتين : الاولى : نزع الجلد مع غطائه سواء كان من الصوف أو الشعر ، والثانية كانت تتم بنزع الصوف أو الشعر من جلد الحيوان قبل فصل الجلد عنه ولكلتا الطريقتين استعمالاتها الخاصة ۰ وفي احد النصوص البابلية نقرأ عن احد المختصين الذي وصف بانه :

« ... مسك بقرة وذبحها ومن ثم قام بسلخ جلدها[١٣] ۰

## طريقة معالجة جلود الحيوانات :

### الدباغة والصباغة :

يراد بالدباغة هنا تحويل جلد الحيوان المنزوع الى مادة غير متعفنة ومتماسكة وقليلة المسامات وبالنتيجة نحصل على مادة نسميها الجلد ۰ ومن طرق الدباغة المذكورة فيالنصوص المسمارية والممارسة من قبل دباغي سكان وادي الرافدين القدماء : ترك الجلد المسلوخ في حوض من الماء للسماح للبكتريا المتوفرة ان تمارس فعالياتها اما طبيعة أو توعية الماء والمواد الموضوعة فيه فتختلف حسب نوعية الجلد الذي يرغب في الحصول عليه[١٤] ۰

وبالنسبة لدباغة الجلود غير المنزوعة الصوف أو الشعر بعد فانها كانت تشبع بمحلول دهني ومن ثم تضرب بالعصي أو بواسطة اخرى ليتم ادخال الاجزاء الدهنية في أجزاء الجلد ومساماته ، ثم تنزع كل الشوائب من الجلد : الشعر او الصوف وبقايا اللحم ...

تشير النصوص المسمارية أيضا الى الاشخاص المتخصصين في كل مرحلة من مراحل العمليات السابقة ، فالمتخصص مثلا في ضرب الجلد يسمى في السومرية :

KUSH. TAG. GA وهي في الاكدية :

amel e-pish ip-qi-da-a [١٥]

اما المتخصصون في صناعة الجلود على اختلاف مراحلها فيقال عنهم في اللغة الاكدية : ashkappe واللفظ مأخوذ من اللغة السومرية : ASHGAB ويعرف هؤلاء المتخصصون حسب نصوص الكتابات المسمارية منذ منتصف الالف الثالث ق۰م ، والشيق ذكره هنا ان التعبير السومري هذا يمثل اصلا شكلا صوريا في الكتابة ممثلا لشكل جلد منفوخ[١٦] ۰

ان هؤلاء المتخصصين اي الـ ashkappe اضافة الى قيامهم غالبا بانجاز كافة مراحل تحضير الجلد : من دباغة وتلوين ... كانت توكل اليهم أيضا مهمة صناعته : وخاصة في عمل الاحذية ...[١٧] ۰ نفهم ان عملية الدبغ المعروفة

---

سلالة اور الثالثة ، وبطبيعة الحال فان مثل هذه العملية التي تعتبر أولى مراحل الاستفادة من جلود الحيوانات جرى الاخذ بها أقدم بكثير من زمن هذه السلالة التي يحدد تاريخها في حدود نهايات الالف الثالث ق۰م : أنظر المصادر والتعابير الخاصة بطرق رفع الجلد عن الحيوانات في المقال المنشور في نفس العدد من مجلة سومر : ص ١٩٤ ملاحظة : ١٦ ۰

(١٣) أنظر سومر ۰ ص ١٩٥ ملاحظة ١٧ ۰

(١٤) انظر سومر ۰ ص ١٩٥ ملاحظة ٢٠ ۰

(١٥) أنظر سومر ص ١٩٥ ملاحظة ٢١ ۰

(16) Labat, R. Manuel D'épigraphie akkadienne. p. 86.

(١٧) سومر ۰ ص ١٩٥ ملاحظة ٢٢ ۰

والمدونة في احد النصوص الآشورية كانت تستلزم استعمالا لمادة العفص والجيد منـــه المستورد من تركيا ، من مناطق الحيثيين ، والواقع ان الحيثيين اشتهروا بهذه المـادة التي استخدمت من قبـــل الآشوريين في الدباغة على نطاق واسع ، كذلـــك اشتهروا بتصديرهم لمادة الشب المستخدم كذلك في الدباغـــة • ومما يتذكـــره النصـــوص الآشورية في كيفية استخدام العفص كمادة دابغة ونعرف من هـذه النصوص ، ان بقـــرة ذبحت لاكمال طقس ديني ولاستخدام جلدها بعد ذلك لعمل طبل خاص يستخدم في الاحتفالات الدينية :

« بعد سلخ جلد هذه البقرة ، يجب تغطيسه في خليط مكون من طحين القمح المسحوق والذي لا يمكن التقرب منه ، مع الماء و ( البيرة ) من الدرجة الاولى كذلك النبيذ ، ثم يوضع الجلد في عجينة من الدهن الرقيق الناعم لبقرة لا يمكن التقرب منها مضافا اليه عطور مختارة ويضاف الى العجينة اربعة التار من الطحين المجفف والمسحوق وأربعة التار من طحين الـ (bitqu) ولتر واحد من طحـــين يسمي : KUR. RA • ومن ثم يكبس جلد البقرة هـذه مع استخدام لمسحوق العفص وشب الحيثيين ••• »[١٨] •

لقد استخدمت مادة الشب gabû على نطاق واسع من قبل المتخصصين بالدباغة في وادي الرافدين القديم ، اما فائدة هذه المادة في هـذا الحقـــل من الصناعة فكانت للحيلولة دون تعفن الجلد وفساده ، وهكذا يلعب الشب دورا لا يقل اهميـــة عن دور مادة العفص في دباغة الجلد • وتأكيـــد دباغي وادي الرافدين القـــدماء على استخدامهم لـمادة الشب يستلزم معرفتهم لعملية ضمن مراحل الدباغة ينتج عنها الحصول على جلد رقيق وناعـــم ولين ويتم ذلك بمعاملة الجلـــد بمسحوق الشب المحلول بالماء بعد تنظيفه وينتج عن ذلك تلون المحلول بلون خفيف ويحصل على جلد جيد : ناعم ورقيق ولين طالمـا يبقى الشب متداخلا في مساماته[١٩] •

من المشوق ذكره هنـا ان نعرض المراحل الرئيسة في معالجة جلود الحيوانات ودباغتها في بغداد وغيرها ونرى ان هذه المراحل لا تختلف من حيث الجوهر كثيرا عن المراحل التي اخذ بها اجدادنا من العراقيين القدماء[٢٠] •

يطلى الجلد اولا بمادة مؤلفـة من خليط يتكون من طحين القمح أو الشعير مع الماء وذلك لازالة الشـــوائب وكذلك لازالة ما يتبقى من فضـــلات الكلاب المستخدمة في العملية • وان الاحواض المستخدمة في العملية عبارة عن حفر في

---

(18) Thureau-Dangin : Rituels accadiens. Paris, 1921, p. 14.

(١٩) عرف دباغو ســكان وادي الرافدين القدماء أنواعا عديدة من الشب كانت غالبيتهـــا تستورد من وادي النيل بشكل خاص • أنظـــر تسميات الشب في اللغـــة السومرية والاكـــدية واستيراده من مصر القديمة في سومر : نفس العدد ص ١٩٦ ملاحظة ٢٥ •

(٢٠) أقدم شكري في الواقع الى الاخـــوين آل عبدالرحمن الموصلي لمساعدتهم لي في هـــذه المعلومات ولاتاحتهم لي فرصة الاطلاع على المراحل المطبقة على الجلد منذ استلامه بعد ذبح الحيـوان حتى تحضيره للتلوين أي كل مراحل معاملة الجلد قبل صناعته في انجاز ما يرادبه كمادة أولية •

الارض مبلطة بالقار للحيلولة دون نفاذ المــاء والمحاليل في الارض • وبعد تنظيف الجلد يغطس في حوض يحتوي على خميرة التمــر • ومن ثم يرفع الجلد ليوضع فترة تتراوح بين يومين الى ثلاثة أيام في حوض يحتوي على مــادة العفص والملح وبعد ذلك يترك الجلد ليجف • ( تستخدم مدابغ مدينة الموصل مادة السماق بدل العفص في هــذه العملية والمعروف ان نفس الآشوريين استخدموا هذه المادة في الدباغة أيضا وفي صبغ خيوط النسيج )(٢١) •

نعرف أيضا موارد نباتية أخرى غير العفص استخدمت في الدباغة لاحتوائها على مواد مفيدة في هــذه الصناعة ومن ذلك لحاء شجرة البلوط ، والكستناء الهندية ولحاء أنواع أخرى من الثمار اللحمية لاشجار مختلفة كذلك تتوفر هــذه المادة الدابغة في بذور بعض الثمار كالعنب •••

بعد عرضنا لما هو متوفر من طرق مختلفة ومواد متعددة استلزم استخدامها لدبغ الجلود على أنواعها في وادي الرافدين القديم ، نأتي على ذكر الطرق المختلفة المستخدمة في تلوين الجلــد ، والمعروف انه حتى اليوم في مناطق الشرق الاوسط يستخدم لحاء بعض ثمار الاشجار وأوراق نبات السماق وبشكل خاص في مناطق شمال العــراق وسوريا في تلوين الجلد • وعرف « السماق » من قبل الآشوريين تحت كلمة : spiru ! ويمكن تقريب هــذه الكلمة من الكلمة العربية صفّر الشيء أي جعله أصفر اللون(٢٢) •

ان الصبغة المستحضرة من نبــات السماق تستخدم في تلوين جلود الحيوانات المدبوغــة وكذلك استخدمت لتلوين الاقمشة • وتؤكد لنا النصوص المســمارية من الفترة الآشوريــة ان الآشوريين استخدموا هذه المادة في تلوين الجلود والاقمشة وما زال استخدام هذه المادة حتى اليوم لنفس الغرض في شمال العراق وتركيا بشــكل خاص(٢٣) •

وقد بحث احد النصوص ، الذي هو عبارة عن عقد ، عثر عليه في مدينة كركميش في سوريا بتجهيز الآشوريين بمادة السماق والعفص وذلك لاستخدامها في صناعة الدباغة ، وكان طرف العقد الآخر هــم جماعــة من الارمن من منطقــة

(٢١) نعرف أيضا عن معالجة الجلــود ودباغتها في القرون الاسلامية الاولى وينقل الينـا ابن سيدة في مؤلفــه عن مرحلة نزع الصوف وبقايا اللحم من الجلد قبل طرحه عــلى الدباغ ويذكر استعمال التمــر وانواعا من الاعشـاب تطحن بعد ان تيبس وتحلل في الماء وتنقع فيــه الجلود • واستخدم الملح للحيلــولة دون تعفن الجلود : المخصص • ط١ ، مطبعة بولاق ــ مصر • ١٣١٦ هجرية • ج٤ ص ١٠٦ـ١٠٧ •

وتذكر من مراحل تنظيف الجلد في مدابغ بغداد وربما في غيرها من المدن الاخرى ابان القرن الخامس الهجري مثلا : ان كان يؤخذ باطن الجلد بشفرة لتنظيفه من القشرة الرقيقة التي تكون في أصول الشعر ولهذه المرحلة أهمية خاصة حيث ان عدم الاخذ بها وتطبيقها يؤدي الى انســحاق الجلد وتشققه فلا تكون له قوة ولا ليونة • أنظر نفس المصدر : ص ١٠٩ •

(٢٢) انظر مرادفات الكلمة واستخدامها في الملاحظات المذكورة في مجلة سومر ، نفس العدد • ص ١٩٦ ملاحظة ٢٦ •

(23) Post, G.E. Flora of Syria and Palestine, I. 285.

ميتاني[٢٤] .

لقد اشتهر الآشوريون والبابليون في الواقع باتناجهم للجلود ذات الالوان البراقة التي انجزت لشغلها في مواضيع عديدة ، ولقد اشتهر بشكل خاص نوع سمي دوشـــو ، dushû ، الذي يرمز للمعـــان الشمس ووهجها[٢٥] ، ومعنى الكلمة في الاصل هو « البلور الصخري »[٢٦] . وتعني الكلمة أيضا أحد ألوان الجلد المأخوذ من العنـــزة : Parutu ويراد به لون الرخام الابيض وهو نوع من الجلود المدبوغة والمصبوغة ، وتعني الكلمة ايضا dushû حسـب ورودهـــا في النصوص الخاصـــة بالملوك الآشـــوريين . تيكلات ــ فيلاسر الاول ، آشور ناصربال الثاني وشلمنصر الثالث : ( جلـود حيوانات منفوخـــة تستخدم في صناعة الاكلاك للنقل البحري )[٢٧] .

سمي الاخصائيون باشتغال الجلود حسب التعبير الاكدي : Lú sârip dushê ومن خلال النصوص المسمارية في العصر الآشوري المتأخر والبابلي الحديث نلمس بان هؤلاء لم يشتغلوا الا في صناعة جلود المعز والخراف فقط[٢٨] .

كـــذلك نعـــرف ان هـؤلاء الاخصائيين استخدموا سلفات النحاس كمادة ملونة للجلد اذ تلون بعض الجلود باللون الاخضر[٢٩] .

وقد عرفت جلود المعز ملونة باللون الاسود كذلك[٣٠] ، وحسب القوائم اللغوية نجـد ان الجلد امكن تلوينه بالالوان الداكنة[٣١] .

ويظهر أيضا ان بعض أنواع الجلد المدبوغ والملون كان يجمل أحيانا بحلي ذهبية واستخدم هـــذا الجلد في صناعـة الحقائب الملوكية وعلب المجوهرات بأحجام مختلفة .

## الحرفيّون المختصون بالدباغة

كَون الدباغون فيما بينهم نوعا من التجمع يشبه ما نسميه اليوم : نقـابة وكانوا يعيشـون في تجمعات سكنية خاصة بهم كذلك الحال بالنسبة لمحلات شغلهم[٣٢] ، وعندنا التعبير في الاكدية المشير الى المكان المخصص لسكنى الدباغين وهو : âl (bît) sha (amêl) ashkappé[٣٣] .

والمعروف ان هناك سببين رئيسيين أديا الى ان يتجمع هؤلاء الدباغون في محل واحـــد : الاول : طبيعة عملهم التي تستلزم الاشتغال في امكنة متقاربة والثاني هو التقليد المتبع في تجمـع اصحاب حرفة واحدة وممارستها في محلة واحدة

---

(24) Olmstead, A.T. History of Assyria. Chicago. 1923, p. 560.

(٢٥) أنظر المصدر في نفس العدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣٠ .

(٢٦) أنظر المصدر في نفس العدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣١ .

(٢٧) أنظر المصدر في نفس العدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣٢ .

(٢٨) نفس العـــدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣٣ .

(٢٩) نفس العـــدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣٤ .

(٣٠) نفس العـــدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣٥ .

(٣١) نفس العـــدد من سومر ص ١٩٧ ملاحظة ٣٦ .

(٣٢) نفس المصدر . ص ١٩٧ . ملاحظة : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

(٣٣) نفس المصدر . ص ١٩٧ . ملاحظة : ٤٠ .

أو أكثر في نفس المدينة وهو تقليد معروف في عالم الحضارات القديمة وبشكل خاص في وادي الرافدين ومصر وفلسطين وآسيا الصغرى وايران وما زال جاريا بوضوح بشكل نسبي حتى يومنا هـذا •

اما عن مكانة الدباغين من الناحية الاجتماعية فيبدو انهم والاسكافيون او الخفافون كانوا مـن المميزين في المجتمع البابلي ومثلهم اصحاب حرف أخـرى معروفة كالنساجين ••• ونعـرف ان حمورابي نفسه ثبت في قانونه الشهير اجـور الدباغين والنساجين(٣٤) •

اما عن اجور الدباغين فنعرف مثلا من نص احد الرقم الطينية من مدينة الوركاء ومن عصر حمورابي بالذات انه كان في احد اسواق المدينة هذه اثنان وعشرون دباغا للجلود وان اجورهم كانت متساوية مع اجـور باقي الحرفيين وكانت تدفع حبوبا(٣٥) •

وفي نص آخر من العهد البابلي الحديث نعرف ان احد الاشخاص كان يروم تعلم مهنـة الدباغـة المعروفـة بالاكـدية تحت كلمـة risinnutu (٣٦) وكذلك بحوزتنا عقد مبرم بين سيد عمل نساج ( اسطة ) وتلميذ ، وكذلك في احد النصوص الاخرى التي ترجع الى حدود الالف الاول قبل الميلاد نجد ان مالك احد العبيد كان يستغله بتعليمه أسرار المهنة الخاصة بدباغة الجلود ومن ثم الاستفادة من اتقانه للمهنة ، اما السيد ( الاسطة ) فيذكر النص انه كان بدوره عبدا مملوكا(٣٧) •

كذلك نجـد بين المشتغلين بالجلد كمادة أولية في الصناعة من كانوا على درجة مميزة من التخصص فنجـد مثـلا المدعو آگاب ـ تاخا ، Agab-tagha مختصا بصناعة الاشرطة الجلدية والخيوط والاحزمة المصنوعة من الجلد(٣٨) •

ومن المعروف أيضا ان الحرفيين المتخصصين باشتغال الجلود كانوا في خدمة القصر والبلاط الحاكم في وادي الرافدين القـديم حيث تتوفر ورشات عمل لكل الحرف المعروفة آنذاك وهكذا نجد ان اغلب الحرفيين الجيدين كانوا في خدمة القصر والمعبد •

وفي احـد الرقم الطينية نقـرأ بان احـد المختصين بصناعـة الاحذية للملك دُعي مرة لتحسين صناعة الاحذية والصندالات ولُقب في النص بـ أبيش شيني ، epish shêni (٣٩) •

وهكـذا تتأكد بشـكل واضـح بتوفر اختصاصيين متميزين بصناعات مكملة للصناعـات الرئيسة التي يلعب الجلد فيها الدور الاول كمادة أولية ، ونعرف أيضا ان هؤلاء المتخصصين كانوا مقسمين الى مجموعات يمارسون اعمالهم تحـت

(34) Driver and Miles. The Babylonian Laws. no. 274.

(35) Wiseman, D.J. The Alalakh tabletts no. 2. p. 79.

(٣٦) أنظر سومر • نفس العـدد • ص ١٩٨ ملاحظة ٤٣ ••

(٣٧) أنظر سومر • نفس العـدد • ص ١٩٨ ملاحظة ٤٤ •

(٣٨) أنظر سومر • نفس العـدد • ص ١٩٨ ملاحظة ٤٥ •

(٣٩) أنظر سومر • نفس العـدد • ص ١٩٨ ملاحظة ٤٦ •

امرة رئيس أو رقيب وعرف هذا المنصب في كل عصور وادي الرافدين وفي اوساطها الصناعية والزراعية ونجد ذكر الرقيب في ورشات العمل الخاصة بصناعة الجلود وغيرها من الصناعات الاخرى • ومن المشوق ذكره كذلك ان دباغة الجلد خلال كل مراحلها تتم على أيدي الرجال دون النساء وذلك لصعوبة وقساوة مراحل تنفيذها كما هو معروف جيدا وحتى يومنا هذا •

**صناعة الاحذية**

تتوفر لدينا العديد من الرقم الطينية التي تذكر بشكل واضح استعمالات الاحذية ( والصنادل ) من قبل سكان وادي الرافدين القدماء ، كذلك تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من المنحوتات[٤٠] التي تعرض تفاصيلها أحذية متنوعة في ارجل الاشخاص الممثلين على هذه المنحوتات وتعكس تفاصيل الاحذية ونوعيتها الطبقة التي ينتمي اليها ذلك الفرد سواء كان من الالهة أو الملوك أو الجنود أو الاجانب أو العبيد[٤١] •

ومن ناحية صناعة الاحذية نعرف انها كانت احدى الدعامات الرئيسية في الصناعة الجلدية ليس فقط في وادي الرافرين وانما في كل حضارات الشرق الاوسط القديم[٤٢] • ونعرف ان جل الاهتمام المكرس في صناعتها كان لاستخدامها من قبل الطبقة البرجوازية ومنهم قادة الجيوش وأصحاب المراتب العليا وكذلك الكهنة الكبار •

وفي احد النصوص المسمارية من مدينة دريهم[٤٣] من عصر اور الثالثة والتي ترجمت من قبل العلامة گوتزه[٤٤] ، نجد مفردات مهمة تخص ذكر كميات الجلود المكرسة لصناعة ( الصنادل ) والاحذية العالية ( التي تصل شرائطها الجلدية الى مادون الركبتين ) والتي تستخدم في احتفال ملكي ، وفيما يلي ترجمة للنص الوارد من قبل گوتزه :ـ

زوج (؟) من الاحذية العالية ، ( تستخدم ) في الاحتفال الخاص بالغسيل ، المعمول بمناسبة ضياء القمر الجديد •

زوج (؟) من الصندالات يلبس في المساء لاستخدامه في اليوم السابع ( من الاحتفال ) ، في مدينة ( كيسورا ) •

زوج (؟) من الاحذية العالية لـ (شو !) •

أنواع عديدة من الاحذية عُرف استخدامها من قبل سكان وادي الرافدين القديم ، فمنها الحذاء العادي البسيط[٤٥] المستخدم للمشي اليومي ، وهذا النوع من الاحذية عُرف استخدامه

---

(40) Layard, H. Nineveh and its remains. II vols.

(41) Layard, H. Monuments of Nineveh; Genouillac (H.de) "La chaussure chez les Assyriens", in RA. VII, 4, 1910 p. 157; "La chaussure sumérienne", in: RA. XXXVI, 1939 p. 43-45.

(٤٢) أنظر مجلة سومر نفس العدد ص ١٩٨ ملاحظة ٤٩ •

(43) Genouillac (H. de) La trouvaille de Dréhem, Paris, 1911 p. 31; Thureau-Dangin. RA. VII, 4. p. 186.

(٤٤) نفس المصدر • ص ١٩٨ ملاحظة ٥١

(٤٥) سومر • نفس العدد • ص ١٩٨ ملاحظة ٥٢ •

من قبل السومريين وهو عبارة عن « نَعل » من الجلد مشدود الى القدم بعدة اشرطة[٤٦] ٠

لدينا أيضا تجسيم محفور لشخص كلكامش (البطل الاسطوري عند السومريين بشكل خاص) على أربعة أختام اسطوانية وهو ينتعل بزوج من الاحذية المدببة والمعقوفة من الامام[٤٧] ٠

وفي عيلام في عصر ازدهار عاصمتهم سوسة ، نرى ملكهم : حارپوزور ـ شوشيناك في احــد المنحوتات الصخرية البارزة[٤٨] وهو ينتعل زوجا من الاحذية ذات الاشرطة : ونرى اسفل الحذاء سميكا واصبع القدم الكبيرة مارا في حلقة جلدية والنعل مشدود بأشرطة جلدية رئيسة متصلة فيها اشرطة ثانوية مشدودة على القدم وتصل الى ما فوق القدم بقليل ٠

كذلك نجــد الملك نرام ـ سن لابســا ( صندالا ) في منحوتته المشــهورة ، مســلة النصر[٤٩] ، ونرى نعل ( الصندال ) مسطحا وهو يشـــبه ( الصندالات ) المستخدمة في الشرق اليوم ، والنعل هذا متصل بأشرطة تمر بين اصابع القدم وتشد الى الرجل في اعلى كعبها واسفل عظم الكاحل ٠

استخدم سكان وادي الرافدين كعبا اضافيا اضيف الي النعل الرئيسي المسطح وميز هؤلاء عن اليهود ذوي الاحذية المغلوقة على كل القـــدم وتصل الى ما فوق الكاحل أيضا ، ونرى نماذج احذيتهم واضـــحة في مســـلة الملك الآشوري شلمنصر الثالث والمحفوظة اليـــوم في المتحف البريطاني[٥٠] ٠ ( أنظر اللوح ١ الشكل ١ ، أ ، ب ) ٠

أحذية الآشوريين التي نراها على الكثير من المنحوتات البارزة منحوتة بشكل جانبي بطريقة نرى بها بوضوح النعل والاجزاء الجانبية والكعب وحتى الاشرطة التي تكون على شكل حلقة يمر بها اصبع القدم الكبير وتمر بمحاذاة كعب القدم وتشد بعد ذلك من الخلف أو الجانب على شكل عقدة ٠ ( أنظر اللوح ١ الشكل ٢ ، ب ، جـ ) ٠

والواقع ان الحلقة الجلدية التي يمرر بها اصبع القدم الكبير ظهرت في عصر متأخر كذلك الثقوب المعمولة لمرورالاشرطة وتوضع فوق كعب القدم على هيئة حلقتين لامرار الاشرطة ، والحلقة الجلدية التي يمرر فيها اصبع القدم الكبيرة تكون أحيانا مزينة بقطعة من المعدن الثمين[٥١] ٠

الى جانب الاحذية ( والصندلات ) عرف سكان وادي الرافدين القـدماء الحـذاء الطـويل العالي الذي يصل الى أسفل الركبتين بكثير وهو ما نسميه اليوم ( باليوتين ) القصير منـه والذي انتشر استخدامه بشكل خاص من قبل الفرسان المحاربين من الآشوريين وتحت هذا النوع من

---

(٤٦) ســـومر ٠ نفس العـــدد ٠ ص ١٩٩ ملاحظة ٥٣ ٠

(٤٧) سومر ٠ نفس العـــدد ٠ ص ١٩٩ ملاحظة ٥٤ ٠

(٤٨) سومر ٠ نفس العـــدد ٠ ص ١٩٩ ملاحظة ٥٥ ٠

(٤٩) سومر ٠ بنفس العـــدد ٠ ص ١٩٩ ملاحظة ٥٦ ٠

(٥٠) سومر ٠ نفس العـــدد ٠ ص ١٩٩ ملاحظة ٥٧ ٠

(٥١) سومر ٠ نفس العـــدد ٠ ص ١٩٩ ملاحظة ٥٨ ٠

( البوتين ) كان هؤلاء الفرسان يلبسون الجوارب المشدودة الى اعلى الساق بشريط[٥٢] . الجزء الامامي من البوتين مربوط الى القدم والساق بواسطة شرائط دقيقة وغير سميكة ، ان انتشار هذا النوع من الاحذية عند الآشوريين بشكل خاص - كان لسهولة السير به - في المناطق الجبلية مساكن الآشوريين المعروفة . ( أنظر اللوح ٢ الشكل ٥ ، ٦ : أ ، ب ) .

كذلك نعرف عن تقليعة جديدة ظهرت في عصر آشور بانيبال : ٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م ، الملك المثقف والمحارب الجيد ، والتقليعة هذه تتلخص في عمل حذاء ذي نعل رقيق وخاصة في الجانب الخلفي من القدم ، ويغطي جلد الحذاء من خلف القدم وجانبيه الخلفيين أيضا ، وتمرر الاشرطة التي تشد الحذاء الى القدم من ثقوب نفس الجلد ويجعل لها حلقات معدنية للتقوية وتشد على شكل عقدة على جانب القدم .

اما الحذاء الآشوري الاعتيادي فهو عبارة عن (صندل) ( يسمى باللغة الاكدية نعل na'ûl المشابهة للفظ العربي المستعمل لنفس الشيء ) ذي نعل رقيق وكعب واطيء مصنوع من عدة طبقات من اشرطة جلدية عريضة[٥٣] .

اما الاحذية بانواعها المختلفة فقد كانت في زمن الملك الآشوري سنحاريب ٧٠٥ - ٦٨١ ق.م ، أقل دقة ورشاقة ومتانة مما كانت في زمن الملك آشور بانيبال على الرغم من كون العناصر المكملة والمزينة لها اكثر واغزر وخاصة الزينة المعمولة على شكل وردات والاشرطة المجملة للاحذية من الامام[٥٤] .

اما عن تلوين الاحذية بشكل عام فقد ابدع الآشوريون والبابليون في ذلك وخاصة في استخدامهم للالوان البراقة في تلوين جلود الاحذية وتزيينها بالقطع المعدنية الثمينة والاحجار الكريمةوتطريزها بخيوط مصنوعة من جلد الماعز المدبوغ[٥٥] . ( انظر حذاء الملكة آشور شرات، زوجة الملك آشور بانيبال وهو مرصع على الاغلب بقطع من الذهب على شكل دوائر . الشكل أ ، ج ) .

كذلك استخدموا الاشرطة الملونة في تزيين العدة الحربية المصنوعة من الجلد وخاصة اشرطة الاحذية الحربية الطويلة . (أنظر الشكل : ٤) .

ان الالوان المتبقية على أجزاء المنحوتات البارزة الآشورية تؤكد لنا ان أحذية الملوك الآشوريين كانت تصنع من الجلد الملون بالالوان المتعددة والمنسقة لاخراج الحذاء الواحد بشكل منسجم ، ومنحوتات مدينة خرسباد ( دور -

---

(٥٢) سومر . نفس العدد . ص ١٩٩ ملاحظة ٥٩ ، كذلك أنظر الشكل ٣-٤ .

(٥٣) نجد بقايا الوان مزينة لبعض المنحوتات الآشورية البارزة ومن هذه الالوان ماهو لأعنة الخيول المنحوتة كذلك نجد بقايا ألوان مكونة من اللون الاحمر واللون الابيض كزينة لاحذية الآشوريين . انظر سومر . نفس العدد . ص ١٩٩ ملاحظة ٦٠ .

(٥٤) سومر ، نفس العدد . ص ٢٠٠ ملاحظة ٦١ . كذلك أنظر حذاء الملك آشور بانيبال المستخدم بصورة خاصة هنا مع ملابسه لاكمال طقس ديني خاص قبل ذهابه للصيد . الشكل ٢ ( أ ) .

(٥٥) سومر . نفس العدد . ص ٣٠٠ ملاحظة ٦٢ .

شروكين ) تثبت لنا هذه التقليعة[٥٦] . وبعض الاحيان وجد ان جلد الصندال الواحد والاشرطة المكملة له ملونة بلون واحد وهو اللون الاحمر .

وعدا مصادرنا في هذا الموضوع من الوثائق الشاخصة ، من المنحوتات وغيرها من البقايا الاثرية ، فاننا نجد في النصوص المكتوبة بالكتابات المسمارية مفردات عديدة تعني ملحقات مكملة منها ضرورية لشد الحذاء الى القدم ومنها ملحقات كمالية جعلت للزينة والقصد منها الظهور بمظهر العظمة والبذخ ومن تلك الكلمات :

muqru, riksu, eshu, enu, aparu, adaru, anabu...

ومن هذه المكملات وخاصة الكمالية منها كانت تنجز من قبل المختصين بالحياكة والنساجة سيما في الحاجة الى عمل التطريز من خيوط الجلد أو القماش[٥٧] .

عُرف نوع من الاحذية الباذخة والجيدة وميز بالتعبير شينو shênu [٥٨] ونعرف كذلك ان احد النصوص المسمارية من عصر ايسن يذكر كمية من الصوف المشوط وجلد خروف لصناعة زوج من الاحذية[٥٩] ، ( خاصة بالملك بطبيعة الحال ) ، وفي نص آخر نجد ذكر الجلد والصوف المشوط والكتان ويذكر انها كرست لعمل ( صندالات ) ملكية[٦٠] .

يحتمل ان يكون ارسال كميات الصوف والكتان مع الجلد اما لاكمال صناعتها بادخال خيوط من الصوف والكتان فيها أو انها ارسلت لعمل بطانة للاحذية الجلدية من الكتان أو الصوف ويحتمل ان يكون ذلك لتلافي احتكاك الجلد الملكي الرقيق بالجلد الحيواني المدبوغ ، ويمكن ان تؤخذ مرحلة عمل بطانة من الصوف والكتان للاحذية لتدفئة الاقدام في الشتاء اول اكتشاف للجوارب واستعمالها في العالم ، ونعرف نصوصا عديدة تذكر الاحذية مع ملحقاتها والصندالات مع ملحقاتها .

وأخيرا نقول بان دبغ الجلود في وادي الرافدين واستغلاله بشكل واسع يؤكد لنا وحدة وتكامل الصناعة الواحدة مما يميز هذه الصناعة بالذات وكذلك الصناعات والمهن الاخرى عما نجده في بقية الحضارات المعاصرة .

هذه الوحدة والتكامل جاءت نتيجة الحاجة الى تبديل وتطوير المواد الاولية منذ وجود الجلد على الحيوان وهو حي الى استغلاله في صناعة كاملة . وهذا التطور حدث ايضا نتيجة لتوفر النوعية الجيدة والمتنوعة من الحيوانات ومن ثم الجلود .

---

(٥٦) سومر . نفس العدد . ص ٢٠٠ ملاحظة ٦٣ .

(٥٧) يظهر ان بعض الخيوط المستخدمة في تطريز الحذاء الملوكي أو الالهي كان يعمل من خيوط ملونة من الصوف أو الكتان . أنظر الملاحظة ٦٤ في اسفل ص ٢٠٠ من مجلة سومر . نفس العدد .

(٥٨) سومر . نفس العدد . ص ٢٠٠ ملاحظة ٦٥ .

(٥٩) سومر . نفس العدد . ص ٢٠٠ ملاحظة ٦٦ .

(٦٠) سومر . نفس العدد . ص ٢٠٠ ملاحظة ٦٧ .

حدث كذلك تكامل وتعاون بين ممتهني هذه القصر الارستقراطية التي نجمت عن الانتصارات الحرفة مع حرفيين آخرين ونذكر منهم النساجين العديدة في الحروب واستغلال الشعوب المغلوبة والحاكة .

والتفكير بوجوب الظهور امنام هؤلاء الاخيرين ثم نأتي الى المظهر الخارجي المتكامل بمظهر العظمة والسلطان ، هذه الصبغة لسناها والمنسق والذي كان من متطلبات المناخ النفسي عند ملوك كل حضارات وادي الرافدين القديم الذي عاش فيه ملوك وادي الرافدين القدماء وحياة وتختلف ضراوة الحالة بشكلها النسبي فقط .

لوح ١

الشكل – ١

أ.

ب.

ج.

الشكل – ٢

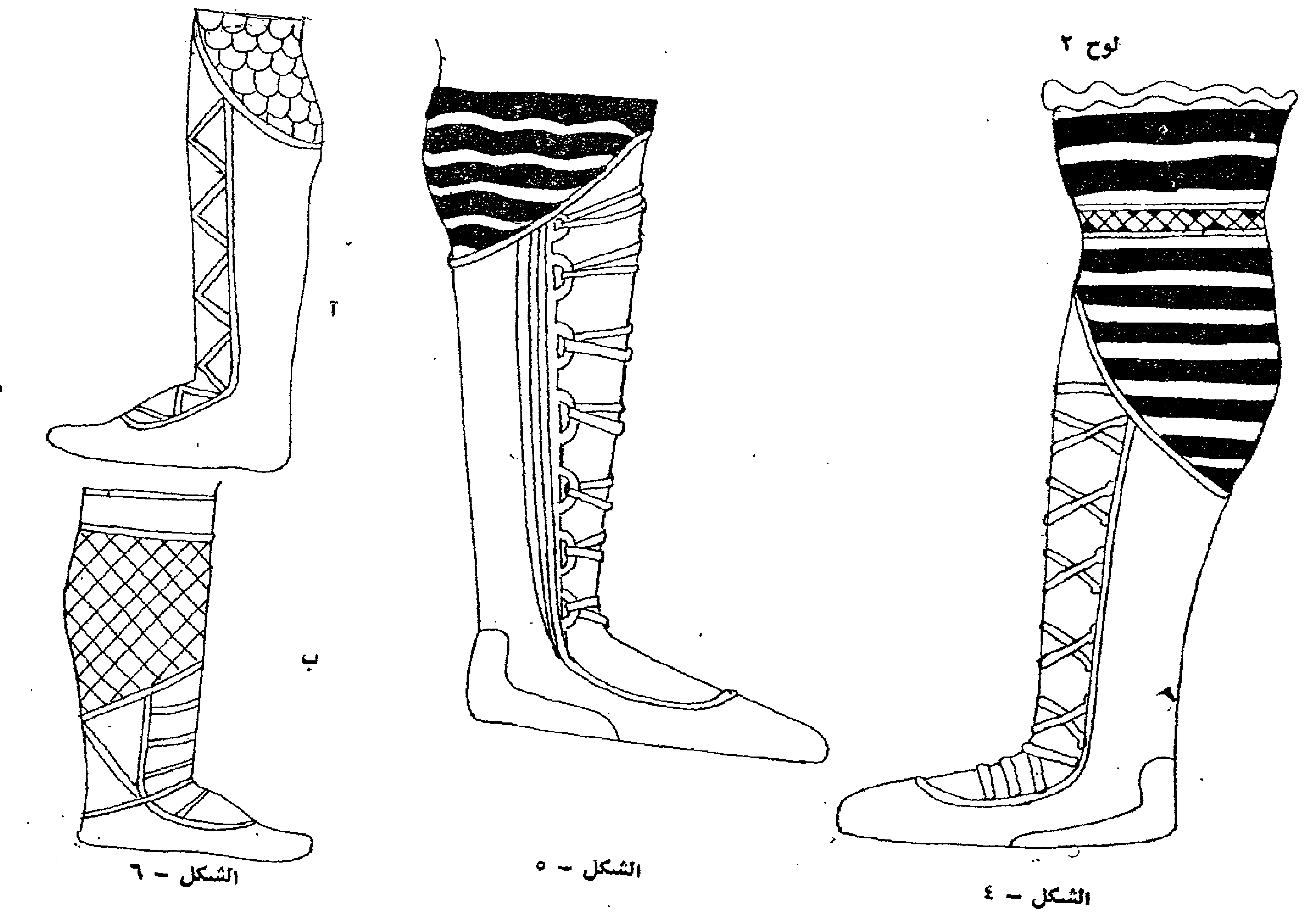
الشكل – ٣

أ.

ب.

ج.

لوح ٢




الشكل – ٦

الشكل – ٥

الشكل – ٤